وعليه ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية
والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن
او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن
في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة
تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك
وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء
فعل وان لم يشا لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما
يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر
يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه
دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان
مقدور العبد مقدور الله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر
ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة
من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى
مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه
حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من
اسفار الحكمة والغرض هاهنا تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة
بما يكابدون بحال من طفئت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته
السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق
ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى فتشبهها
بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه في الاول ذوات المنافقين
بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن
الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول
المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم

في

في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي
الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب
فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه
لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات
المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في
الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله
تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم
بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة
مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه
بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقران وسائر ما اوتي
الانسان من المعارف التي هي سبب الحياة الابدية بالصيب الذي
به حياة الارض وما ارتبكت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها
من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد
وما فيها من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال
من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذانه عنها مع انه لا خلاص لهم
منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع
لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء
البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن
لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها
الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن
الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء
قدير **يا ايها الناس اعبدوا ربكم** لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم
ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع
وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبر الكلفة العبادة بلذة